

التشكّل وآليات التحليل في الخطاب السياسي المعاصر، دراسة في جهود عماد عبد اللطيف.

Formation and Analytical Mechanisms in Contemporary Political Discourse, a study of Emad Abdul Latif's Efforts

بن يمينة زهرة^{1*}، محمد رزق شعير²

¹ جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، zohra.benyamina@univ-mosta. dz

² كلية الإلهيات، جامعة هيتيت، تركيا، rizkshour2022@outlook.com

تاريخ الاستلام: 2023/09/11 تاريخ القبول: 2024/01/16 تاريخ النشر: 2024/01/26

ملخص: يمثل الخطاب السياسي آلية للتواصل الجماهيري، ويتأسس على أسس منهجية، ومعرفية، وبنائية، تميزه عن باقي أنواع الخطاب، ومن هذا المنطلق يرد هذا البحث ليدرس الأنساق المشكلة له من منظور المحللين العرب المعاصرين، عماد عبد اللطيف مثالا. بعد مطارحات نظرية وتطبيقية تم التوصل إلى جملة نتائج أهمها: أن للخطاب علاقة وطيدة بالاتصال السياسي؛ فهو في شموليته يُعدّ من أهم ما يمكن ضبط سبل الاتصال بين المرسل والمتلقي عبر الوسيط اللساني، بالإضافة إلى أنه يُعدّ همزة وصل بين السلطة والشعب، وتتشكل بلاغة الخطبة السياسية من مجموع الظروف السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، فتصنع سيطرتها وتتجح في إحكامها دون وعي المستجيبين لذلك.

كلمات مفتاحية: الخطاب السياسي، التواصل الجماهيري، السلطة، البلاغة، عماد عبد اللطيف.

Abstract: Political discourse represents a mechanism of mass communication, based on methodological, cognitive and constructive foundations that distinguish it from other types of discourse. Therefore, this research aims to study the influential patterns from the perspective of Contemporary Arab analysts, such as Emad Abdul Latif. After theoretical and practical debates, a set of results has been reached, the most important of which is that discourse has a close relationship with political communication. In it's considered one of the most important means of regulating communication between the sender and the receiver through the linguistic medium, in addition, it serves as a bridge between the authorities and the people, the rhetoric of political speeches is shaped by a combination of political, economic and social circumstances, which allows it to establish its dominance and succeed in tightening its grip without the awareness of the audience.

Keywords: political discourse, mass communication, the authority, the rhetoric, Abdul Latif

✳ المؤلف المرسل

1. مقدّمة:

تعود البدايات الأولى للخطاب السياسي إلى ارتباطه بعلم السياسة، الذي عُرف عند الإغريق والرومان، كما برز في ذلك الوقت علماء وفلاسفة على غرار أفلاطون وأرسطو اللذين نظروا إلى الخطاب السياسي على أنه حلقة رئيسة من حلقات علم السياسة. وانطلاقاً من هذه أهمية يروم هذا البحث طرح إشكال مهمّ يتمثل في: ما أنساق الخطاب السياسي؟ وكيف حلّ المحللون العرب المعاصرون الخطاب السياسي العربي؟ وبم تميّز هذا التحليل النقدي للخطاب؟ وبغية الإجابة عن الإشكالات المتقدّمة تمّ وضع خطة بحث تقرّعت إلى قسم نظريّ يوضّح بعض المفاهيم المتعلقة بالموضوع، ثمّ قسم التطبيقيّ يدرس آليات تحليل الخطاب السياسيّ عند عماد عبد اللطيف من خلال خطب الربيع العربي- خطاب الساسة وخطاب الجماهير- وتردُّ أهمية البحث إلى ميزة الخطاب السياسيّ الذي يُعدّ أداة تواصل جماهيريّ وله بلاغته الخاصة التي تتطلّب التحليل من أجل فهم قصد أطراف الخطاب فيه.

2. مهاد نظري:

1.2 الخطاب السياسيّ: تعريفاته، وأسسّه، وأهمّ خصائصه

كان يُنظر إلى الخطابة على أنّها فنُّ الإقناع الضّروريّ لرجل الدّولة ويجب أن يمتاز بتعلّمه كأداة من أدوات السياسة، وكان الخطيب يبذل جهده من أجل إثارة الهيجان في نفس السّامع حتّى يردد فيما بعد ما سمعه من أفكار الخطيب. وقد وصف سقراط الخطابة في ذلك الوقت على أنّها صاحبة الأمر في الجمهوريّة القديمة، كان كل شيء في أيدي الشّعب وكان الشّعب في أيدي الخطباء.

ارتبط الخطاب السياسيّ بالمناضلين السياسيين الذين كانوا يقومون بتوزيع المنشورات السياسيّة على الحشود، وانتشر هذا الأمر أثناء الثّورة الفرنسيّة؛ إذ كانت هذه المنشورات تهدف إلى زعزعة النّظام السياسيّ الذي كان يخضع إلى حكم الكنيسة، وعلى

هذا الأساس قامت الثورة الفرنسية معلنة الحرية حيث تضمن ميثاقها حق كل مواطن في أن يطبع ويكتب ما يشاء وهكذا ظهرت المنشورات السياسية التي تحمل المناوئة للدولة¹. ونتيجة للانتشار الواسع والكبير الذي عرفه الخطاب السياسي، جعل العديد من الباحثين والدارسين يجتهدون في تحديد مفهومه ونشأته وأهم تطوّراته، لذلك تعددت المفاهيم واختلفت الرؤى.

يعرفه "محمود عكاشة" بأنه: "الخطاب الموجه عن قصد إلى متلق مقصود، بقصد التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب، ويتضمن هذا المضمون أفكارًا سياسية، أو يكون موضوع هذا الخطاب سياسيًا، والخطاب السياسي يهتم بالأفكار أو المضامين، ولهذا نجد المادة اللفظية قليلة في حين يتسع المعنى الدلالي لتلك الألفاظ، فالمرسل يعتني بالفكرة التي هي مقصده أكثر من عنايته بالألفاظ، فالفكرة في الخطاب السياسي هي الأساس"².

وهو عند جين بودرولارد **jean boudroallart** "مدونة تتكوّن من مجموعة عناصر إعلامية وإجرائية يتم في ظلّه تبرير مواقف أو قوانين أو قرارات تتخذها السلطة في ميدان معيّن"³. والخطاب السياسي هو كل بيان أو تصريح أو برنامج أو خبر يصدر عن مؤسسة رسمية أو أهلية⁴.

ويرى طه عبد الرحمن أنّ الخطاب السياسي نظام يضم جملة النّصّورات والمفاهيم والمقترحات المنظّمة في إطار منطقيّ حول الواقع السياسي، أو نسق تفكير في الأمور السياسية والتّعبير عنها، ممّا يجعله المرجعية الفكرية للنصوص السياسية المنتجة والمبنية على أساسه⁵.

2.2 الخصائص العامة للخطاب السياسي:

للخطاب السياسي العديد من الخصائص نُجملها فيما يلي:

- يعدُّ الخطاب السياسيّ من أكثر الخطابات المعاصرة تأثيرًا وأوسعها انتشارًا، ويرجع ذلك إلى ما يملكه من وسائل تساعد على انتشاره ومدّ نفوذه.
- يرتبط الخطاب السياسيّ ارتباطًا كليًا بظروف الواقع الخارجيّ، ويتفاعل معه، ويتأثر بجميع الأحداث الداخليّة والخارجيّة.
- يعتني الخطاب السياسيّ أولاً وأخيراً بالمضمون والفكرة، في حين يأتي الشّكل اللّغوي في المرحلة الثّانية.
- الخطاب السياسيّ موجّه يهدف إلى مقصد إقناعي توجيهي وإلى مدّ نفوذ صاحبه وتحقيق أهدافه، وليس له أغراض جماليّة، ومن ثمّ يعتمد على الشّكل المباشر البسيط واللّغة الواقعيّة التي تعايش الجمهور، ويتفاعل معها، فيسهل الفهم والإقناع.
- يميل الخطاب السياسيّ إلى الجماعة المتمثّلة في نحن، الشّعب، الأمّة، لا الفردية التي تعبّر عن الذات المتكلّمة "أنا"، والمتكلّم الجمهور، والقائل الحقيقيّ هو السّلطة.
- القصد وعدم العفويّة والتّوجيه، ويفتقد إلى المصادقيّة، فالمصادقيّة هي كلّ ما تفرضه السّلطة وتراه صوابًا، وليس كلّ ما يُقال عين الحقيقة، وإنّما هو ما تريده السّلطة من الجمهور، وتهدف إليه⁶.
- الاقتراب من الخطاب اليوميّ والتّفاعل مع المجتمع، والارتباط بالحدث الدّاخليّ والخارجيّ.
- التّفاعل المستمرّ بين الخطابين المكتوب والمنطوق، فكلاهما يوظّف أدوات الآخر.

- الخطاب السياسي رهين الظروف التي صنع لأجلها، ثم يفتقد فاعليته بغياب تلك الظروف، فالخطاب القومي فقد قيمته، والخطاب الاشتراكي فقد قيمته، وأصبحت جزءاً من تاريخ حقبة سياسية.
- يأخذ الخطاب السياسي شكلاً رسمياً، ليمنح نفسه قداسة الهدف ومصادقية الفعل، وليقطع طرق الرّفْض والجدال، والمناقشة.
- الخطاب السياسي أحادي يقوم بتغييب الآخر واستبعاده من المثل أمام الرأي العام، ولهذا فهو أحادي التّوجيه، والممارسة، وغير قابل للتّناقضات، ويرجع ذلك لسيطرته على منافذ الاتّصال بال جماهير، وقدرته على نفي خطاب الآخر بقوة السُّلطة.
- يستخدم الخطاب السياسي المفردات الاجتماعية المعاصرة التي يستخدمها جمهوره، ولا يستخدم المفردات القديمة والغريبة، ومن ثمّ فهو خطاب مباشر حيويّ سريع الفهم والتأثير، ولغته واقعية من واقع الخطاب اليوميّ.
- يميل الخطاب السياسي إلى استخدام التراكيب البسيطة والقصيرة غير المعقّدة لأنّه خطاب إقناعي مقصديّ، وليس خطاباً جمالياً بلاغياً، والصّور البلاغية مباشرة ومقتبسة من الواقع.
- الخطاب السياسي ليس خطاباً عفويّاً، ولا يعبر عن ذات قائله، لأنّه خطاب جماعيّ يمارسه صاحبه عن تدريب وتوجيه وتلقين، ومن ثمّ فهو لا يعبر عن ذاته الفطرية، ويخلو من المشاعر.
- يحظى الخطاب السياسي باهتمام واسع، وتقوم السُّلطة بصنع كوار بشرية تعمل على تدعيم خطابها وترويجها، ويقوم الخطاب بصنع كوار تحميه، ويستطيع بنفوذ السّلطوي الإمتداد خارج الحدود الجغرافية⁷.

- الخطاب السياسي صاحب أكبر جمهور، فجمهوره جموع الشعب، كما يتجاوز المتلقي الداخلي إلى متلقي خارجي في الخطابات الدولية أو الخطابات ذات المضامين التي تتعلق بالمجتمع الدولي، وهذا لا يتسنى لغيره من الخطابات.
- يبنى الخطاب السياسي على مواقف الصراع والأزمات والخلافات والظروف المحيطة بالمجتمع السياسي؛ فالموقف هو الذي يتسبب في صنع الخطاب وليس الخطاب يخلق الموقف، فخطاب التأميم صنعتة أزمة تمويل السد العالي.
- الخطاب السياسي خطاب ممتد يتجاوز حدود القطر الجغرافية؛ لأنه خطاب شمولي جمعي مقصدي.

- تشكل السلطة حضوراً مستمراً في جميع الخطابات السياسية، فليس هناك خطاب دون السلطة فجميع الخطابات السياسية تتجه نحو مصالح السلطة والخطاب المصيري محمل بكثير من نفوذ السلطة وتأثيرها، ومن ثم يفرض خطاب السلطة نفسه على جميع المؤسسات الاجتماعية والثقافية.

- الخطاب السياسي خطاب اجتماعي يتواجد مع وجود المجتمع السياسي والمفردات والمعاني والقيم التي يتضمنها الخطاب في أساسها ملك المجتمع الذي نشأ فيه الخطاب نتيجة التفاعل والاتصال بين أفراد.

- ليس هناك انفصال بين الخطاب المكتوب والمنطوق، وبين المجتمع الذي ينتج فيه الخطاب، فهذه الأشكال وسائل اتصال في المجتمع، ومن ثم استعان السياسيون بالوسائل الاتصالية المؤثرة من هذه الأشكال للتأثير في الجمهور وإقناعه⁸.

3.2 الخطاب السياسي وأنواعه:

يقترح باتريك شارودو Patrick Charaudeau في دراسته للخطاب

السياسي، التمييز بين ثلاثة مواضع لصناعة الفكر السياسي، يتناسب كل موضع منها مع رهان للتبادل اللغوي، موضع خاص لإعداد أنساق الفكر، وموضع يكون فيه المعنى مرتبطاً بفعل التواصل ذاته، وموضع حيث ينتج التعليق.⁹

- الخطاب السياسي بوصفه نسقاً للفكر: هو نتيجة فعالية خطابية تسعى إلى تأسيس مثالية سياسية بحسب مبادئ معينة ينبغي أن تكون مرجعاً لتشكيل الآراء والتوقعات positionnements.

- الخطاب السياسي بوصفه فعلاً للتواصل Acte de communication: والذي يهّم بشكل مباشر الفاعلين الذين يشاركون في مشهد التواصل السياسي؛ حيث يتوقف الرهان على التأثير في الآراء لأجل تحصيل الانخراط أو الرّفص أو التوافق.
- الخطاب السياسي بوصفه تعليقاً commentaire: هو ليس موجّهاً بالضرورة نحو غاية سياسية، إنّهُ خطاب بشأن السياسة، لكن بدون رهان سياسي وهذا النوع نجده غالباً في حوارات المقهى، أو الأسرة، أو بين الأصدقاء.

3. الإجراء النقدي والتحليلي للخطاب وفق مشروع عماد عبد اللطيف:

اتّجه لفيّف من محلّلي الخطاب في العالم العربيّ إلى تحليل الخطابات على تنوّعها وإرساء دعائم تُدرّس وتُفهم من خلالها، ويُمكن أن نحصي عدداً من هؤلاء المحلّلين أمثال طه عبد الرحمن، عماد عبد اللطيف، محمّد مشبال، وعبد العليم محمّد، مارلين نصر أبو شديد، محمود عكاشة وغيرهم، الذين يرون في الخطاب مكوّناً بلاغياً له أنساقه الخفية وضوابطه الإقناعية التي يفرض بها وجوده كأداة تواصل فعّالة، وبنية الخطابة السياسية المعاصرة، وبلاغتها، وكيفية قراءتها، من أهمّ المشاريع النقدية التي تخوّل فهم الثورات العربية، وفاعلية الخطب فيها. وقد اعتمد "عماد عبد اللطيف" في

تحليله لمختلف الخطابات السياسية على استراتيجية محدّدة تتماشى وأنماط هذه الخطابات وظروفها التي قيلت فيها، وتمثّلت أهمّ هذه الإجراءات فيما يلي:

1.3 التجديد في تحليل الخطاب السياسي:

وُجِدَ الخطاب السياسي منذ القدم في التّراث الإغريقيّ، والتّراث العربيّ، وتناوله بلاغيّون من حيث المميزات العامّة له ولصّانعيه، وتندرج هنا الخطب السياسية، والرّسائل السّلطانيّة والديوانيّة، غير أنّ دراستها بطريقة نقدية تحليليّة كان غائبا لم توله عناية إلى جهود المحدثين، وتردّ جهود عماد عبد اللّطيف مُستمرة لأعمال سابقها، ومُجدّدة في مناهج التّحليل النّقدية، وملاحح هذا التّجديد تظهر في تحليل أقسام الخطاب إلى الملاحح اللّغويّة وكلّ ما يتعلّق بالملفوظات الصّغرى، والكبرى، وإلى الممارسات الاجتماعيّة وهي المؤثّرات الإيديولوجيّة وعمليّات الهيمنة التي يمارسها صنّاع الخطاب، ثمّ الممارسات الخطابيّة التي تتخذ الخطاب سلعة تُنتج، وتوزّع، وتستهلك في المجتمع، اعتبر دراسة الخطاب السياسي تتمّ من منطلق بينيّ تتداخل فيه كل التّخصّصات.

2.3 الجهاز المفاهيمي والاصطلاحي لتحليل الخطاب:

تُعَدُّ المصطلحات مفاتيح العلوم لأنّها تُحدّد المقاصد المعرفيّة من أيّ علم، وفي مجال التّحليل السياسي للخطاب اعتمد عماد عبد اللّطيف مجموعة مصطلحات ذات حمولة بلاغيّة وإجرائيّة منها مثلا:

1.2.3 الاتّصال الجماهيريّ: وهو اعتبار الخطاب السياسي سلعة تُنتج، وتوزّع، وتستهلك، وبه يتمّ ربط حلقة الوصل بين المُنتج والمُتلقيّ، لا يمكن استبعاد هذا المصطلح من أيّ خطاب سياسيّ أثناء تحليله. ويمكن اعتبار خطب القادة في الرّبيع العربي خير مثال على ذلك.

2.2.3 التلطيف اللغوي واللفظي: ويُقصدُ به استخدام تعبيرات مُخفّفة أو غامضة أو غير مباشرة للإشارة إلى ظاهرة أو سلوكٍ أ حدثٍ، وهو من السمات اللغوية التي تخفّف من ردة فعل الجماهير، وقد تكيّفها من الأسوء إلى الأقلّ سوءاً، ومثال هذا ما استخدمه جمال عبد الناصر في خطاب التنحي 9 يونيو 1967م، من ألفاظ خفيفة الوقع على الجمهور مثل استخدامه للتّحّي بدل الاستقالة، وللنكسة بدل الهزيمة، وللعنوان بدل الحرب، وكلّ لفظ مُستبدل له حمولته الدلالية وتأثيره.

3.2.3 المجاز السياسي: ويتضمّن مجموع الاستعارات والتّوريّات، وأساليب التّلاعب التي يُضمّننها الخطباء السياسيون خطبهم.

3.3 نموذج تطبيقي حول تحليل خطب الربيع العربي:

نُعَدُّ خطب الربيع العربيّ - خاصّة خطب الثّورة المصريّة - من أكثر الخطب التي نالت حظّها من الدّرس التّحليل نظراً لغناها البلاغيّ، ولأبعادها التّواصلية التي تنمّ عنها، ونسجت خطب هذه المرحلة بلاغة جديدة تتقن الغواية والإقناع، ويمكن التّمييز بين ثلاث أنواع رئيسة شهدتها الثّورة المصريّة؛ "الأول: هو خطاب الميادين الاحتجاجي والثّوريّ، والثّاني: هو خطاب الثّورة المضادّة الذي يُمكن تسميته بخطاب الشّاشات بسبب الدّور الهائل الذي مارسه الإعلام - المرئيّ خاصّة - في إنتاجه وترويجه، أمّا الثّالث فهو خطاب الصّناديق الدّعائيّ"¹⁰، وقام كلّ نوع بصناعة بلاغة خاصّة به انطلاقاً من موقعه الخطابيّ.

3.3.1 بلاغة خطاب الجمهور النّائر:

2.3.3 خطاب الميادين:

لقد شحّن هذا الخطاب خطابة الجماهير التي اتخذت صوتاً موحّداً من أجل التعبير عن رأيها وهو ما يُصطلح عليه بالخطاب السياسي المنطوق وهو الخطاب الشفهي الذي يقوله صاحبه معتمداً فيه على الأداء الصوتي لا الشكل الكتابي، ويُراد به الخطاب المرتجل والمقروء، وقد اعتمد على مجموعة من الأنساق التواصلية تنوّعت بين اللغوية وغيرها، فاللغوية مثلاً اعتمدت على هتافات الجماهير التي اتفقت في مطلبها ووظفت الصيغ اللغوية الخادمة لذلك، ومنها أفعال الأمر الدالة على الغضب وطلب الثورة (ارحل)، والمفردات المكررة المؤكدة على مبدأ الثورة (سلمية، سلمية)، والعبارات الدالة على الهدف الجماعي (أيد واحدة)، ويبقى أهمّ مميّز لهذه العبارات هو أنّها لم تخضع لدراسة أو تخطيط عكس الخطب الرسمية التي يتمّ الإعداد لها مسبقاً.

مثّلت اللافئات خطاباً جماهيرياً موازياً للخطاب اللغوي، وهي ذات لمسة جمالية اختزلت الكلمات، واحتوت على عبارات باللهجة العامية، وباللغة الإنجليزية، ووردت بصيغة القصص القصيرة، والأمثال والحكم، وهي بكلّ هذه العدة الخطابية، خطاب مقاوم للنظام "لقد كانت اللافئات هي لوحات الثورة الناصعة التي سجّل فوقها أشخاص عاديون من الشعب المصري ملحمة الثورة بطموحاتها، وأحلامها، ومخاوفها، وأخطائها"¹¹، وإذا كانت الهتافات اتّفاً جماهيرياً، فإنّ اللافئات هي خطاب يحمل مطالب الفرد والجماعات، لذلك تنوّعت بين اللافئات الفردية والجماعية، فكان التنوّع في تشكيل مختلف الصّور؛ مثل: الجداريات، ورسوم الكاريكاتور، أبدع فيها كلّ متظاهر بما تمليه عليه ثورته على النظام "لقد كانت اللافئات هي لوحات الثورة الناصعة التي سجّل فوقها أشخاص عاديون من الشعب المصري ملحمة الثورة بطموحاتها، وأحلامها، ومخاوفها، وبقدر ما كانت لافئات الثورة إبداعاً لغوياً تشكيليّاً، كانت أغاني الثورة إبداعاً لغوياً موسيقياً"¹²، وقد انضمّ إلى نسيج خطاب الميادين الترانيم، والأغاني

الثّوريّة الحماسيّة التي تشحن الوعي العاطفيّ مثل: (بلادي بلادي/ مصر هي أمّي/ وطني حبيبي وطني الأكبر)، تميّزت هذه التّرانيم عموماً بالتّرديد، والحماسة، وعملت على إثارة غضب المتظاهرين لمواصلة مسيرة الرّفص. وما يمكن تلخيصه حول لغة الجمهور، أنّها لغة كاشفة مباشرة لا تتسرّر خلف الاستعارات المُبهمّة، والمجازات المضلّلة.

4.3.3 بلاغة خطاب الحكّام:

جانّب الخطاب السّياسيّ للحكّام أثناء ثورات الرّبيع العربي خطاب الجمهور لأسباب كثيرة بعضها متعلّق بطبيعة المُلقّي ومقصدية، وبعضها متعلّق بما انعكست عليه هذه المقصدية وأفرزته في بنية خطابيّة خاصّة، ومن بين ملامح هذا التشكّل، نجد الصّيع التي تحملُ أنساقاً مضمرّة، مثل توظيف صيغ التّقابل، وأساليب التّهديد والتّرويع، والرّجر، والنّهي وهذا ما تميّزت به لغة السّياسة "إنّ لغة السّياسة غايتها تأسيس عالم لغويّ يُحقّق للسّياسيين الذين ينشئون طموحاتهم في السّيطرة على السّلطة والاحتفاظ بها وإضفاء الشّرعية عليها، وفي سبيل تحقيق ذلك، يلجأ السّياسيون، ومعاونوهم إلى حشد من الظّواهر اللّغويّة والبلاغيّة التي تمكّنهم من تقديم تصوّرات عن العالم الخارجيّ"¹³، مثّلت خطب "حسني مبارك" إنتاجاً لغويّاً وبلاغياً بعدما عرفت نوعاً من التّراجع في فترة حكمه الأخير قبل خلعها، وهو تراجع اتّسم بالارتجال والخروج عن النّصّ و التّقيد به وغياب التّواصل البصري مع الجماهير، إضافة إلى استتساخ الخطب بعضها من بعض، لكن شرارة الانتفاضة العربيّة ما لبثت أن ألهمت هذه الخطب تهديداً ووعيداً، وتحوّلت إلى سجلّ سياسيّ يبيّث فيه الحاكم سطوته ورغبته في عدم التّخّي، وأصبح الحفاظ على الجمهور والاستحواذ عليه هو من أهداف خطب هذه المرحلة.

ألقي الرّئيس المصريّ السّابق، "حسني مبارك" ثلاث خطب متفاوتة الفعل والطّبيعة؛ فمنها ما وردت لتصف انتفاضة الشّعب المصريّ بالمروق والضّلال، والمعنى

الخفيّ يوحى بتقديس سلطة خفيّة هي القيادة الديكتاتورية الوحيدة التي تملك حقّ تقرير مصير شعوبها، وأنّ انتفاضة الشعوب هي زوبعة في فئان يستحيل عليها الوصول إلى التّغيير " حسني مبارك، الذي لم يدخل الجامعة ولا تعرف على الأفكار والمبادئ الكبرى التي حركت الشعوب الأوروبيّة ودفعت بها إلى السّير نحو النّهضة، هذا الجنرال الآتي من الثّكنة العسكريّة، والذي تربّى، منذ الأكاديميّة العسكريّة على الطّاعة والانضباط، لا يدرك معنى العقد الاجتماعي كما لا يستسيغ فكرة أن يثور عليه المواطنون ويطالبونه بالرحيل- أو يحاسبونه على سياسته- لذلك فهو ينظر إلى الأمر على أنّه "زلع عيال" أي مجرّد غضب أطفال سيعودون إلى رشدهم بمجرد تدخل الأب بحديث فيه إغراء وصرامة في نفس الوقت" ¹⁴، وأمام غياب الوعي السّلطويّ والحنكة السّياسيّة يلجأ أمثال هؤلاء الحكام إلى دغدغة مشاعر الجماهير بكلمات رنانة تُعزف على أوتار التّأثّر عندهم، مثل مخاطبتهم الجماهير بخطاب الأبوة والحنوّ والخوف على المصلحة، أي الوصاية على الشّعب بحكم عدم أهليته في اختيار مصيره "نزعة الأبوة هذه، ليست خاصّة بحسني مبارك بل هي حالة ذهنيّة يكاد يشترك فيها معظم الحكام العرب الذين ينظرون إلى شعوبهم، وخاصّة الشّباب منهم، بأنّهم غير ناضجين بعد وعليه فهم في حاجة مستمرّة لأباء يوجهونهم ويسيروا أمورهم ويتحكّمون في ثوراتهم" ¹⁵.

ثمّ تأتي خطبة طغيان الأنا التي تكشف عن الفردية في اتّخاذ القرار عوض الجماعة "وإنّني عازم كلّ العزم على الوفاء بما تعهدت به بكلّ الجديّة والصدّق، وحريص كلّ الحرص على تنفيذه دون ارتداد أو عودة للوراء" ¹⁶.

إضافة إلى هذه التّقنيات البلاغيّة العالية يتمّ اختيار توقيت إلقاء الخطب الذي يكون عادة ليلاً..إنّه توقيت يختار بعناية فائقة إذ تجعل المتلقّي في حالة استسلام دون

مقاومة، ففي السياسة لا شيء يسير وفق هواه، بل إنّ ما أخذ من حريّات الأفراد ماديًا، يختار الطريقة المعنويّة في تعزيزه، كما يؤدّي استعمال ضمائر الأنا إلى طغيان النرجسيّة في الخطاب السياسيّة إذ تتحوّل إلى فضاء لمدح الذات، وغياب (النّحن)، وإذا كان الخطاب الجماهيريّ يقوم على وعي جامع للصّوت الثّوريّ، فإنّ الخطاب السياديّ على نظيره يقوم بإعلاء الصّوت الواحد، وعمومًا إنّ خطاب الثّورة المضادّة يبنّي على استراتيجية مُحكمة، ويهدف إلى خلخلة الموازين التي تعبّر بها عن غضبها" توظّف الخطاب السياسيّة التي تستهدف مقاومة دعوات الإطاحة بالحاكم، التمثيلات الإيجابية لشخص الحاكم ومنجزاته. هذه التمثيلات يكون غرضها حيّزة تأييد شرائح الشعب للإجراءات التي يتّخذها لمقاومة معارضيّه، وإضفاء شرعيّة على استمراره في الإمساك بمقاليد السّلطة، وسلب الشرعيّة على استمراره في الإمساك بمقاليد السّلطة"¹⁷، وقد لا يقف استعمال الخطاب السياسيّ الحاكم عند هذا الحدّ، بل يتجاوزّه إلى توظيف الأساليب التي تستميل المشاعر، مثل الاقتباس من النّصّ المقدّس، القرآن الكريم، واعتباره أداة تأثير بالغة.

4. نتائج البحث: من خلال ما تقدّم من مطارحات نظريّة وتطبيقية، يمكن استنتاج ما يلي:

1- إنّ مصطلح الخطاب يُعدّ واحدًا من المصطلحات التي حملها إلينا تيار الحداثة، الذي حاول إعادة النّظر في كلّ الأشياء فقد كانت جذوره الأولى في فترة ما بعد الحداثة عند المدرسة البنيويّة، والخطاب السياسيّ هو نتيجة فعاليّة خطابيّة تسعى إلى تأسيس مثاليّة سياسيّة بحسب مبادئ معيّنة ينبغي أن تكون مرجعًا لتشكيل الآراء والتّوقعات.

2- للخطاب علاقة وطيدة بالاتصال السياسي فهو في شموليته يُعدُّ من أهم ما يمكن من ضبط سبل الاتصال بين المرسل والمتلقّي عبر الوسيط اللسانيّ، بالإضافة إلى كونه يُعدُّ همزة وصل بين السلطة والشعب.

3- لقد تشابهت الخطب السياسيّة العربية المعاصرة في نكرانها الانتفاضة على الشعوب وعدّها سفهاً وجنوناً، واعتبر الحكّام أنفسهم أنّهم آباء وجلون على أبنائهم، فمزجوا خطبهم بالعبارات التي تورّق المشاعر وتستعطف الجماهير وتلهيها عن مقاصدها، كما عدّت هذه الخطب أداة بلاغيّة تحمي السلطة وتتقن إضمار النوايا التي تتسرّر بستار العبارات الناعمة.

4- تصنّع خطب الجماهير لنفسها بلاغة خاصّة يميّزها الصوت الجماعيّ، والإبداع النّابع من الغضب المقاوم، وتجسّد في خطب الميادين، واللافتات، والترانيم، وهي خطابات لا تخضع لسابق تصميم.

5- إنّ خطاب الحُكّام هو خطاب مضادّ للخطاب الجماهيري يتشكّل من بنية خاصّة وهي: الإعداد المُسبق، والتنوّع في آليات الإقناع والتلطيف اللفظيّ.

6- إنّ آلية تشكّل الخطاب السياسي من وجهة نظر عماد عبد اللطيف النقديّة يمتثل إلى الآليات اللغوية بمختلف أنواعها بحكم أنّ الخطاب هو إنتاج لغوي، بينما يركز جانب التحليل فيه على التجديد في ثوابت الخطاب وفي ضرورة إخضاعه إلى متطلّبات العصر.

5. الهوامش:

1- نعمان كريمة، الخطاب السياسيّ وأزمة العلاقات الجزائريّة المغربيّة من خلال الصحافة المكتوبة من 2005 إلى 2008م- الخبر والشّعب أنموذجاً، مذكرة مكملة لدرجة الماجستير في علوم الإعلام والاتّصال، كليّة العلوم السياسيّة والإعلام، قسم علوم الاعلام والاتّصال، الجزائر، 2012، ص: 73.

2- عكاشة محمود، لغة الخطاب السياسيّ: دراسة لغويّة تطبيقية في ضوء نظريّة الاتّصال، مصر، دار النّشر للجامعات، 1426هـ/ 2005م، ص: 45.

- 3- حمودي وهيبه، انعكاسات الخطاب السياسي لعبد العزيز بوتفليقة على الممارسة الإعلامية في الجزائر، مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، قسم علوم الإعلام والاتصال، الجزائر، 2003، ص: 27.
- 4- ابن سعود المطيري مطلق، الخطاب السياسي السعودي ونماذج الإقناع الإعلامي، على الرابط: <http://www.shatharat.net/vb/showthread.php?t=425>، شوهذ يوم: 27 فيفري 2015.
- 5- طه عبد الرحمن، روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الانتمائية، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط 2، 2201، ص: 326.
- 6- عكاشة محمود، لغة الخطاب السياسي: دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، مرجع سبق ذكره، ص: 346.
- 7- إبراهيم رزان، الخطاب والتقدم في الرواية العربية المعاصرة، عمان، القاهرة، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2003 ص: 17.
- 8- المرجع نفسه، ص: 18.
- 9- السرتي زكريا، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، لبنان، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط 1، 2014، ص: 117.
- 10- عماد عبد اللطيف: بلاغة الحرية، معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، بيروت، لبنان، التنوير للطباعة والنشر، 2013م، ص 14.
- 11- نفسه، ص 41.
- 12- نفسه، ص 41.
- 13- عماد عبد اللطيف، بيان التنحي وذاكرة الهزيمة، مدخل بلاغي لتحليل الخطاب السياسي، مجلة ألف، الجامعة الأمريكية، العدد 30، 2010، ص 101.
- 14- عظيمي أحمد. تحليل خطاب حسني مبارك : أبوة، تهديد وكذب على المباشر. جريدة الشروق اليومي الإلكترونية. 2011/2/11، <http://adimiahmed.over-blog.com>
- 15- نفسه.
- 16- نص خطاب-مبارك-للشعب المصري، <https://www.aljazeera.net/news>
- 17- عبد اللطيف عماد، حروب بلاغية: مناورات خطاب السلطة في ساحة الثورة، مجلة ألف. العدد 32. 2012، ص 290.